OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

المراسلات الشعرية بين شكيب أرسلان ومحمود سامى البارودي

(دراسة أسلوبية)

The Poetic relationship between Shakib Arslan and Mahmood Sami Al-Baroudi (Comparative study)

❁ **د۔الحافظ محمد أكرم الأزهرى**

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها الجامعة الإسلامية بهاولفور-

❁❁ **محمد اعظم**

الباحث بمرحلة الدكتوراه قسم اللغة العربية وآدابها الجامعة الإسلامية بهاولفور-

Abstract

Shakib Arslan is, a writer , Best thinker, known with the title is Amir al-Bayan. In 1887 he published his first collection of poetry and called it the Bakorah, were published in the (Levant Writers Association) that included annotated poems with analysis in which he spoke about the leaders of Islamic reform in the modern era, such as Jamal al-Din al-Afghani, Muhammad Abdoho, and Rashid Raza.Mahmoud Sami al-Baroudi is one of the leaders of the Arab Revolution (1881), and one of the eminent Egyptian poetry in the era of the Arab Renaissance. The Baroudi is the first launch of poetry, towards the renewal of the Arab poetry that emerged a new understanding of the values of justice, freedom and equality.In this Article we are looking at:

• Shakib Arslan and his biography.

• Mahmoud Sami Al-Baroudi and his biography.

• The poetic relationship between Shakib Arslan and Mahmoud Sami Al-

• A comparative study on the poetry of Shakib Arslan and Mahmoud Sami Al-Baroudi.

• Curriculum of poetry in Shakib Arslan's collection.

• Curriculum of poetry in Diwan Al-Baroudi.

Keywords: Shakib Arslan, Mahmoud Sami al-Baroudi, Poetic relationship, Comparative Study.

المقدمة:-

الحمد لله رب العالمين الصلاة والسلام علي سيد المرسلين أما بعد!

الشعر في اللغة واحد الأشعار، قال الراغب: هو في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم ليت شعري. وسمى الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته-

وفي اصطلاح الأدباء هو كما قال ابن خلدون: "الكلام الموزون المقفى، ومعناه الذي تتكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية". قال: "وأساليب الشعر تناسبها اللوذعية وخلط الجد بالهزل والإطناب في الأوصاف وضرب الأمثال وكثرة التشبيهات والاستعارات".

الشعر ليس عملًا سهلًا ساذجًا كما يعتقد كثير من الناس؛ بل هو عمل معقد غاية التعقيد، هو صناعة تجتمع لها في كل لغة طائفة من المصطلحات والتقاليد، ما يزال النقاد منذ أرسطاليس يحاولون أن يصفوها بما يقيمون عليها من مراصد ومقاييس، وقد يكون من الغريب أن نجعل الشعر صناعة، ولكنه الواقع، فكلمة شاعر عند اليونان القدماء معناها صانع؛ ولذلك كنا نراهم يقرنون في أبحاثهم الشعر إلى الصناعات والفنون الجميلة من نحت وتصوير ورقص وموسيقى.

في هذه المقالة نبحث حول :

- شكيب أرسلان وسيرتُه الذاتية
- محمود سامي البارودي وسيرتُه الذاتية
- العلاقة الشعرية بين شكيب أرسلان و محمودسامي البارودي,
- دراسة مقارنةفي شعر شكيب أرسلان ومحمود سامي البارودي
- منهج الشعر في ديوان شكيب أرسلان
- منهج الشعر في ديوان البارودي

شكيب أرسلان وسيرُته الذاتية :-

هو شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان كاتب وأديب ومفكر عربي لبناني اشتهر بلقب أمير البيان. كان يجيد اللغة العربية والتركية والفرنسية والألمانية. ويعتبر واحداً من كبار المفكرين ودعاة الوحدة الإسلامية والوحدة والثقافة. [1]

ولد سنة 1869م في بيت عريق من بيوت الإمارة اللبنانية في الغرب، في بلدة الشويفات[2] في لبنان مركز العائلة الأرسلانية-

تعلم شكيب في بلدته الشويفات مبادئ القراءة والكتابة والقرآن على شيخ من أهل بلدته، ثم دخل مدرسة الأميركان، وتعلم فيها مبادئ اللغة الإنجليزية، ثم انتقل إلى بيروت ليتلقى دروسه في مدرسة الحكمة المارونية، والتي كانت مشهورة بتعليم أصول اللغة العربية، والفرنسية، والتركية. ونبغ شكيب في ذلك متفوقاً وبامتياز، ونال شهادتها سنة 1886، ثم انتقل إلى المدرسة السلطانية لتعلم اللغة التركية والفقه، كما حضر درس مجلة الأحكام العدلية على الإمام محمد عبده[3]-ولازمه في مجالسه الخاصة، حتى كان للإمام عبده أثر كبير في حياة شكيب وفي تكوينه وتوجيهه، فاتخذه مثلاً أعلى لحياته، ورأى في أدبه وسيرته ودعوته للإصلاح وعمله لخير المسلمين طريقاً يسلكها، وشعاراً يرمي إليه، ونهجاً يسير فيه، حتى غدا يقلده في خطابه وفي آثاره ومقالاته.[4]

وفي عام 1887 نشر ديوان شعره الأول وأسماه الباكورة.. وقد نشرت في (رابطة أدباء الشام) عدة مقالات تضمنت قصائده مشروحة مع التحليل تحدث فيها عن زعماء الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث ، أمثال جمال الدين الأفغاني[5]، ومحمد عبده ، ورشيد رضا[6] .سافر شكيب إلى مصر وعمره إحدى وعشرون سنة، ولازم أستاذه محمد عبده وتعرف من خلاله إلى أرقى الشخصيات في مصر منهم: سعد زغلول، والشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد، وكذلك أحمد زكي باشا الذي أصبح شيخ العروبة في تحقيقاته وكتبه وأدبه.

شغَل شكيب أرسلان عددًا من المناصِب الإداريَّة، فتَمَّ تعيينُه مديرًا للشويفات سنتين، ثم قائم مقام "محافظ" على الشوف عام 1902م، وقام بالدعوة من أجل إنشاء حلفٍ عربي عام 1923م.

وقام بإصدار جريدة "الأمة العربية" باللغة الفرنسيَّة بجنيف بسويسرا، هذه الدولة التي أقام فيها حوالي 25 عامًا، والتي سعَى من خِلالها للدِّفاع عن قَضايا أمَّتِه.

انتخب شكيب سكرتيراً أولاً للوفد المنبثق عن المؤتمر السوري الفلسطيني عام 1921 وعضواً في لجنته التنفيذية ليكون سفيراً لهم في الغرب.

وقد توفى شكيب أرسلان فى 9ديسمبرسنة1946م وثقل الثمانين ليلة الاثنين في 9 كانون أول -[7]

ترك الأمير شكيب الكثير من منها: لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم،و الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية.و الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف.و غزوات العرب في فرنسا وشمالي إيطاليا وفي سويسرا.والباكورة، ديوان شعره الأول.والسيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة.وشوقي أو صداقة أربعين سنة.والقول الفصل في رد العامي إلى الأصل.ومطالعات في اللغة والأدب، مقالات لخليل السكاكيني مع ردود للأمير عليها.وروض الشقيق في الجزل الرقيق،[8]

محمود سامي البارودي وسيرته الذاتية :

هو رائد مدرسة البعث والإحياء في الشعرالعربي الحديث، وأحد زعماء الثورة العرابية (1881)، و أحد أعلام الشعر المصريين في عصر النهضة العربية- وهو الذي سيبعث الشعر العربي من سُباته الطويل، ويخلع عنه ثيابه البالية من البديع وغير البديع، ويرد إليه الحياة والنشاط، فيصبح شعرًا ممتعًا يغذي القلب والشعور، ويمنح قارئه لذة فنية حقيقية.[9]

ولد محمود سامي بن حسن حسين بن عبد الله البارودي[10] عام 1839 في مدينة دمنهور-[11]

فقد كان والده ضابطا في الجيش المصري برتبة لواء، وعُين مديرا لمدينتي "بربر" و"دنقلة" في السودان ومات هناك ومحمود في السابعة من عمره. فكفله بعض أهله وقاموا خير قيام على تربيته-[12]

تعلم البارودي القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ النحو والصرف، ودرس قليلا من الفقه والتاريخ والحساب، حتى أتم دراسته الابتدائية في مدرسة المبتديان بالقاهرة عام 1851.

التحق وهو في الثانية عشر من عمره بالمدرسة الحربية سنة 1852، وبدأ يظهر شغفا بالشعر العربي وشعرائه الفحول، حتى تخرج عام 1855 والتحق بالجيش السلطاني.

سافر إلى الآستانة عام 1857، وتمكن أثناء إقامته من إتقان التركية والفارسية ومطالعة آدابهما، وحفظ كثيرا من أشعارهما. في ذلك الحين. غير أنه خرج، مع من خرج، منها وهو في السادسة عشرة من عمره[13]، وذلك بعد أن آلت ولاية مصر إلى الخديوي سعيد الأول الذي تابع نهج عباس الأول، في ممالأة السلطنة العثمانية، بتعطيل مظاهر النهضة المصرية العسكرية.

ثم التحق البارودي بوزارة الخارجية، في الأستانة، وهناك تعلّم اللغتين التركية والفارسية. وحين سافر الخديوي إسماعيل باشا إلى الأستانة ألحقه بحاشيته ثمّ عاد به إلى مصر، وكان قد بلغ الرابعة والعشرين من العمر-

ترك العمل السياسي، وفتح بيته بالقاهرة للأدباء والشعراء، وكان على رأسهم أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومطران خليل مطران وإسماعيل صبري، وقد تأثروا به جميعا ونسجوا على منواله، فخطوا بالشعر خطوات واسعة، وأُطلق عليهم "مدرسة النهضة" أو "مدرسة الإحياء."

توفي محمود سامي البارودي في 12 من ديسمبر/كانون الأول عام 1904.

نجد فى شعره عنصر شركسي، كان له حكم مصر في وقت من الأوقات، وأورثه هذا العنصر

حدة في المزاج وطموحًا واسعًا، وميلًا إلى حياة الحرب والفروسية. وهذا العنصر الوراثي يقابله عنصر عربي مكتسب من قراءاته للشعر القديم، وأضاف إلى هذا العنصر قراءات في الآداب التركية والفارسية، وفي الآداب الإنجليزية أخيرًا، ودعته ظروف حياته العسكرية إلى أن يسافر إلى أوربا ويشهد الحياة الأوربية. وهو بهذا كله يشبه الشعراء لعباسيين الذين كانوا يلمون بالثقافات الأجنبية المعروفة لعصورهم، وإن كان من المحقق أنه لم يتأثر في شعره تأثرًا واضحًا بما ألم به من ثقافات غير الثقافة العربية؛ ولكنها –على كل حال– تضيف إلى شخصيته شيئًا جديدًا لا نراه عند معاصريه من الشعراء المصريين.[14]

إن شعر البارودي يعدّ الانطلاقة الشعرية الأولى، نحو تجديد الشعر العربي، بعد رقدته الطويلة، والحقّ أن شعره لا يتميّز من الشعر العربي القديم إلاّ بتلك الروح الإحيائية التي ظهرت بالفهم الجديد لقيم العدالة والحرية والمساواة.

ومجموعات شعرية سُميّت مختارات البارودي، جمع فيها مقتطفات لثلاثين شاعرا من العصر العبّاسي, ومختارات من النثر تُسمّى قيد الأوابد.

العلاقة الشعرية بين شكيب أرسلان و محمودسامي البارودي:

أستشهد الامير شكيب فى بعض كتاباته أولا وثانيا بأبيات للبارودى على غير معرفة شخصية سابقة ، فكتب محمود سامى باشا الى الأمير بالمقطوعة الآتية-

أشدتَ بذكري بادئًا ومعقِّبًا وأمسكتُ لم أهمسْ ولم أتكلَّمِ

وما ذاك ضنًّا بالوداد على امرئٍ حباني به لكن تهيَّبتُ مقدمي

فأمَّا وقد حقَّ الجزاءُ فلم أكُن لأنطقَ إلا بالثناءِ المنمنمِ
فكيف أذودُ الفضلَ عن مُستقرّه وأُنكِر ضوء الشمس بعد توسُّمِ
وأنتَ الذي نوَّهت باسمي ورِشتَني بقولٍ سرى عني قناعَ التوهُّمِ
لك السبقُ دوني في الفضيلة فاشتمِلْ بحُلَّتها فالفضل للمتقدمِ
ودونكَها يابن الكرامِ حبيرة من النَّظمِ سدَّاها بمدحِ العُلا فمي

فأجابه الأمير:

لكَ الله من عانٍ بشكرٍ مُنمنمِ لتقدير حقٍّ من عُلاك مُحتَّمِ
وشهمٍ أبيّ النفسِ أضحى يرى يدًا تذكُّرَ فضلٍ أو جميلٍ لمنعمِ
رأى كرمًا مني تذكُّر قولِه فدلَّ على أعلى خلالًا وأكرمِ
ولو كان يدري فاضلٌ قدرَ نفسِهِ رأى ذكرَهُ فرضًا على كل مسلمِ
أيعجَبُ مِن تنويهِ مثلي بمثلِهِ؟ لَعَمرِي الذي قد شقَّ في شعره فمِي
ومهما يَكُن من أعجمٍ فبفضلِهِ يرى ثقفيًّا في الورى كل أعجمِ
إذا مطرَ الغيثُ الرياضَ بوابلٍ فأيُّ يدٍ للطائر المترنِّمِ؟
إذا ما تصبَّت بالعميدِ صباحة بوجهٍ فما فضل العميدِ المتيمِ؟
وهل يُنكِر الإحسانَ إلا لئامةٌ وينكِرُ حُسنًا غيرُ مَن طرْفُهُ عَمِي؟
وهل في شهودِ الشمسِ أدنى مَزِيَّةٍ وقد جاءَ ضوءُ الشمسِ لم يتكتَّمِ؟
رويدَكَ لا تُكثِر لدهرِكَ تُهمَةً ولا تَيأسَنْ من أهلِهِ بالتوهُّمِ
فمَا زالَ مَن يدري الجميلَ ولم يكُنْ لتأخذَهُ في الحقِّ لومةُ لوَّمِ
وأنتَ الذي لو أنصفَ الدهرُ لم يَكُن لغيركَ في العلياءِ صدرُ التقدُّمِ
جمعتَ العُلا من تِلْدِها وطَرِيفِها فجاءت كعقدٍ في ثناك منظَّمِ
غدت خطَّتي إما يراعٍ ومخذم وأنك قطب في يراع ومخذمِ
ولم أرَ كفًّا مثل كفّك أحسنت إلى المجد إرعاف المداد مع الدمِ
جمعْتَهما جمعَ القدير بكفّه إلى محتدٍ سامٍ إلى المجد ينتمي
ولو كان يرقى المرء ما يستحقه إذَنْ لبلغتَ النيّرات بسلَّمِ
وأنت الذي يَا ابن الكرام أعدتها لأفصح من عهد النواسي ومسلمِ

ثم كتب محمود سامي باشا إلى الأمير شكيب بهذه القصيدة:

أدِّي الرسالة يا عصفورةَ الوادي وباكري الحيَّ من قولي بإنشاد[15]
ترقَّبي سِنَةَ الحرَّاس وانطلقي بين الخمائل في لُبنانَ وارتادي
لعلَّ نَغْمةَ ودٍّ منكِ شائقةً تَهُزُّ عِطف شكيبٍ كوكبِ النادي
هو الهمامُ الذي أحيا بمَنْطِقِهِ لسان قومٍ أجادوا النطقَ بالضَّادِ
تَلْقى به أحنفَ الأخلاقِ منتديًا وفي الكريهةِ عمرًا وابنَ شدَّادِ
أخي ودادًا وحسبي أنه نسبٌ خالي الصحيفةِ من غِل وأحقادِ
أفادني أدبًا من منطقٍ شَهِدَتْ بفضله الناسُ من قارٍ ومن بادِ
عذْب الشريعة لو أن السحابَ هَمَى بمثله لم يَدَعْ في الأرضِ من صادِ
سرَتْ بقلبيَ منه نشوةٌ ملكَتْ بحُسنها مسمَعِي عن نَغْمةِ الشَّادِي
يا ابنَ الكرامِ عدتْنِي منك عاديةٌ كادت تسُدُّ على عيني بأسدادِ
فاعْذِرْ أخاك فلولا ما به لجرى في حَلْبةِ الشكر جريَ السابقِ العادِي
وهاكَها تُحفةً مني وإن صَغُرتْ فالدُّرُّ وهو صغير حليُ أجيادِ

فأجابه الأمير شكيب:

هل تعلمُ العِيسُ إذ يحدو بها الحادي أن السُّرى فوق أضلاعٍ وأكبادِ[16]
وهل ظعائنُ ذاك الرَّكْبِ عالمةٌ أن النَّوَى بين أرواحٍ وأجسادِ
تحمَّلوا ففؤادي منذ بَيْنِهِمُ في إثرهم نضوُ تأويب٤ وإيساد٥
يرتادُ منزلهم في كل قاصيةٍ وحجبُهُ لو درى أحرى بمرتادِ
بين الجوانحِ ما لو أنت جائِبُهُ أغناكَ عن لفِّ أغوارٍ بأنجادِ
وفي الفؤادِ كشطر الكفِّ بادية في جنبها تيه موسى ليس بالبادِ
كم بِتُّ أَنشُدُ أحبابي وأُنشِدهم في الهند يا شدَّ ما أبعدت إنشادي!
ولو أناجي ضميري كنتُ مُسمِعَهم قولي كأنهمُ في الغيب أشهادي
مَن كان دون مرامي العِيسِ منزعُهُفلِي هوًى دون أمواجٍ وأزبادِ
دون الخضارمِ إن ضلَّ الحبيب سُرًى فإنَّ وجديَ نعم القائف الهادي
هوًى بأروعَ لو أنَّ الزمان دَرَى لَمَا أحلَّ سواه الصدر بالنَّادي

سامي الأَرُومةِ في أعراقِهِ نسبٌ ... في المجد لا يشتكي من ضعفِ إسنادِ
أرقُّ من شمأَلِ الوادي شمائِلُهُ ... وعند شد الليالي صخرة الوادي
من معشرٍ لو يقيس الناس شَأْوَهمُ ... إلى العلا افتقروا فيه لأرصادِ
يا مَن لنا ردُّه من فائتٍ عوض ... يُمحى به وزر أحقابٍ وآمادِ
إن يَحجبوكَ فما ضرَّ النجومَ دجًى ... ولا زرى السيفَ يومًا طَيُّ أغمادِ
لا بأسَ إن طال نَجْز السعد موعِدُهُ ... فأعذبُ الماءِ شربًا في فم الصَّادِي
عسى لياليك قد سُلَّت ضَغِينَتُها ... وقد صفَتْ كأسُها من سؤر أحقادِ
واستأنف الدهرُ سلمًا لا يكدرها ... فالدهر قد يرتدي حالات أضدادِ
لو كان يُسعد قومٌ قدرَ فضلِهم ... ما لاقَ مثلك أن يحظى بإسعادِ

وكتب محمود سامي إلى الأمير من جزيرة سيلان[17]:

رُدِّي التحية يا مهاةَ الأجرعِ ... وصِلِي بحبلك حبلَ مَن لم يقطعِ
وترفَّقي بمتيَّمٍ علِقت به ... نارُ الصبابة فهو ذاكي الأضلُعِ
طرب الفؤاد يكاد يحمله الهوى ... شوقًا إليكِ مع البروق اللُّمَّعِ
لا يستنيم إلى العزاء ولا يرى ... حقًّا لصبوتِهِ إذا لم يجزعِ
ضمنت٦ جوانحُهُ إليك رسالة ... عنوانها في الخد حُمْر الأدمعِ
فمتى يبوح بما أجنَّ ضميرُه ... إن كنتِ عنه بنجوةٍ لم تسمعي؟
أصبحتُ بعدكِ في دياجر غربةٍ ... ما للصباح بليلها من مَطلعِ
لا يهتدي فيها لرحلي طارقٌ ... إلَّا بأنَّةِ قلبيَ المتوجّعِ

فأجابه الأمير:

أَتُرى يحلُّ هواكِ بين الأضلعِ ... ويحل لي بسواك ذرفُ الأدُمع
وأبِيت أُشرك فيكِ في دِين الهوى ... وأكون للتوحيد أوَّل مدَّعِ
وتظل تشرد بي لغيرِكِ صبوةٌ ... هي من سجونك في المحلِّ الأمنعِ
وأسيم في روض الحسان موزعًا ... قلبًا وَهَى بالحمل غير موزعِ
قلب عليك تختَّمت أبوابه ... ما نحوه لسواك طرفة مطمعِ

إني طويت عن النسيم شغَافَه أن جاءني من غير تلك الأربعِ
وحجبت عن كل العواطف حُجبه إلا الحنين لبدر ذاك المطلعِ
وأبحت إلا في الغرام هوادةً ومنعت إلا أنَّة المتوجعِ

ويقول شكيب أرسلان في ديوانه: فأرسلت إلى محمود سامي باشا في مصر قصيدة ميمية من بحر الخفيف فُقدت من بين أوراقي، وكان قد فقد إحدى كرائمه، فكان موضوع القصيدة التعزية والتسلية، وإني أتذكَّر منها بعض أبيات":

لا تَخَلْ كنتَ في الفجيعةِ فَردًا كلُّ قلبٍ لجرح قلبك دَامِ

ومنها في المديح: إن أزالُوكَ عن رَآسةِ حُكم لم تزل صدرَ دولةِ الأفهامِ

ومما أتذكَّره من هذه القصيدة وصف طبرية وغورها:

في ضفافِ الأرْدُنِّ يَجري على الغَو رِ كساقٍ يدير كأس المدَامِ
وتباشير للربيع أضاءت في عِرارٍ من زهره وبشامِ

ومنها:

وسلامي على الخليل وشوقي وعلى حافظٍ بديع النظامِ
الثريا التي قدِمتُ عليها بضئيل السُّهى وشِبْهِ القَتَامِ

فأجابني محمود باشا سامي بهذه القصيدة:

حَيِّ مَغنَى الهوى بوادي الشآم وادعُ باسمي تُجِبْك وُرْقُ الحَمامِ
هُنَّ يعرفنني بطول حنيني بين تلك السهولِ والآكامِ
فلقد طالما هتفنَ بشدوِي وتناقلن ما حلا من هُيامِي
ولَكَمْ سِرْتُ كالنسيم عليلًا أتقرَّى ملاعبَ الآرامِ
في شعارٍ من الضنى نسجَتْهُ بخيوط الدموع أيدي الغرامِ
كلما شِمْتُ بارقًا خِلتُ ثغرًا باسمًا من خلال تلك الخيامِ
والهوى يجعل الخِلاجَ يقينًا ويغُرُّ الحليمَ بالأوهامِ
خطراتٌ لها بمرآة قلبي صورٌ لا تزول كالأحلامِ
ما تجلَّت على المخِيلَةِ إلا أذكرتني ما كان من أيامي

ذاك عصرٌ خلا وأبقى حديثًا نتعاطاه بيننا كالمدامِ
كلَّما زحزحَتْ بنانةُ فكري عنه سِترَ الخيال لاح أمامي
يا نسيمَ الصَّبا فديتك بلِّغْ أهل ذاك الحِمى عبيرَ سلامي
واقضِ عني حقَّ الزيارة واذكُرْ فرطَ وجْدي بهم وطولَ سَقَامي
أنا راضٍ منهم بذُكرَة وُدٍّ أو كتابٍ إن لم أفُزْ بلِمَامِ
هم أباحوا الهوى حريمَ فؤادي وأذلُّوا للعاذلين خِطَامي
أتمنَّاهم ودون التلاقي قذفاتٌ من لُجِّ أخضرَ طامِ
صائل الموج كالفحول تَراغَى[18] من هياجٍ وترتمي باللُّغامِ

- **دراسة مقارنةفي شعر شكيب أرسلان ومحمود سامي البارودي**
- **منهج الشعر في ديوان شكيب أرسلان**

قسّم شكيب أرسلان ديوانه إلى الأقسام الآتية:

المراسلات السّامية[19]:

. كما كان الأمير شكيب يستشهد في بعض كتاباته بأبيات من شعر محمود سامي البارودي، وهذا رائد مدرسة الشّعر والإحياء فكان أن كتب إليه البارودي مقطوعة من سبعة أبيات ينوّه بها إلى فضل الأمير أوّلها:

أَشَدْتَ بشعري بادئًا وَمُعَقِّبًا وأمسكتُ لم أهْمِسْ ولم أَتَكَلَّمِ

فيردّ عليه الأمير بقصيدة من أربعين بيتًا مطلعها:

لكَ اللهُ من عانٍ بشكرٍ مُنَمْنَمِ لتقدير حَقٍّ في عُلاكَ مُحَتَّمِ

وفي ختامها يخفّف عن البارودي ما أصابه من نفي أبديّ عن مصر عام 1882إلي جزيرة سرنديب(سيرالانكا) بفعل الخديويّ والإنكليز أثر ثورة عُرابي الوطنيّة:

أمحمودُ سامي إنْ يَكُ الدّهرُ خائنً وطالَ عليكَ الزَّجْرُ طائرَ أشأمِ
فما زالتِ الأيامُ بؤسًا وأَنْعُمًا وحَظُّ الشّقا بالمكْثِ حَظُّ التَّنَعُّمِ
ولولا الصَّدَى ما طابَ وِرْدٌ ولا حَلا لكَ الشَّهْدُ إلاّ من مرارةِ علقمِ

عسى تُعْتِبُ الأيّام والهَمُّ ينجلي وينصاحُ صُبْحُ السَّعْدِ في ليلِ مُظْلِمِ

فيردُ عليه البارودي بقصيدة منها:

هو الهُمامُ الذي أَحْيا بمنطقِهِ لسانَ قومٍ أجادوا النُّطْقَ بالضّادِ

تلقى بها أحنف الأخلاقِ مُنْتَدَبًا وفي الكريهة عمروًا وابنَ شَدَّادِ

مساجلات شعريّة، ومفاكهات أدبيّة[20].

وكانت بينه وبين عبد الله فكري، وأسماعيل صبريّ، ولقد لفت نظري حادثة طريفة، يوم كان شكيب ارسلان مبعوثًا عن حوران إلى الآستانة أيام الحرب العامّة الأولى، وقد نزل ضيفًا عند محمد بك راسم(من أعيان مصر مقيم في (طرسوس)وله معمل قطنيّ فيه فتيات ينسجن ..وحدث أن ضويقت فتاة لأجل جمالها ، ولما علم صاحب المصنع جعلها في مأمن من التّعرّض لها، فكتب الأمير شكيب مداعبة شعريّة'' غزلية'' يصف فيها الفتاة التي تقول للشّمس: غيبي تا أقعد مطرحك ! ومنها:

أَحْبَبْتُ عيسى والصّليبَ لأجْلِها حتّى يكادُ يَؤُمُّ بِيْ قَسِّيسُها

ثم يخلص إلى مدح أنور باشا:

بَطَشَتْ بنا وهي الضّعيفُ بذاتِها بَطَشاتِ أنورَ بالعُداةِ يَدُوسُها

هو ذلك البطلُ الذي في ذكرِهِ أبدًا يُضيءُ من الوجوهِ عَبُوسُها

ولما وصلت هذه القصيدة دمشق بعث إليه الأديب الشّاعر خليل مردم بك بقصيدة يداعبه:

إنْ كنتَ أحْبَبْتَ الصّليبَ لأَجْلِها وشَجَا فؤادَكَ قارِعًا ناقوسُها

والرّوحِ والإنجيلِ حَلَفةَ صادقٍ وبمينِ حقٍّ لا يُرَدُّ غَمُوسُها

ثمّ تَلَّى هذه القصيدة قصيدة أخرى لخليل مردم، ويردّ شكيب عليهابقصيدة، وتكون بعدها حادثة سياسيّة إثر ملاحقة العلاّمة محمّد كرد علي، وتفتيش بيته، وفراره فتوسّط له شكيب.

ثمّ تتوالى قصائد المراسلات والمفاكهات حتّى يمدح شكيب أرسلان الخديوي توفيق (وشكيب من العمر ابن واحدة وعشرين عامًا) ثمّ لازم محمّد عبده، وذهب إلى زيارة سعد زغلول زعيم مصر ثمّ إلى الإسكندريّة فاستقبله الخديوي توفيق في رأس التّين.

وفي أحدى جولات شكيب في أوروبا يؤمّ مدينة فرانكفورت في ألمانيا، ليزور قبر شاعر ألمانيا الكبير جوته، وعندما زار بيته ، وقدّموا له الدّفتر المعتاد أن تُكتب فيه

أسماء الزّائرين وانطباعاتهم كتب أمير البيان:

مُذْ قِيلَ هذا بيتُ (غوته) زُرْتُهُ إِذْ كانَ لِلشُّعَراء كعبةَ قاصِدِ

هذا أميرُ الشِّعْرِ عندَ قبيلِهِ منهُ لِجِيدِ الدَّهْرِ عِقْدُ فَرَائِدِ

وبعد أن ذهب شكيب من فرانكفورت استدعت بلديّتها الأستاذ المستشرق هوروفيتس الذي كان يدرّس العربيّة في كلّيّة عليكرة في الهند، وله ترجمة لديوان الكميت بن زيد الأسديّة\ كزموة فيما أتذكّر وغيره فترجم هذه الأبيات ، ونشر التّرجمة في جرائد ألمانيا ، ممهّدًا لها بمقدّمة جاء فيها الإطراء الزّائد وقال:هذا إكرام شاعر الشّرق لشاعر الغرب.

وتتوالى قصائد تكريم الشّعراء مثل حافظ إبراهيم شاعر النّيل وخليل مطران شاعر القطرين وقصيدة بعث بها إلى لتكريم أمير الشّعراء أحمد شوقي قرأها عنه خليل مطران ، وقصيدة في تكريم الأستاذ العلاّمة الشيخ عبد الله البُستانيّ، وأخرى للشّاعر المصريّ عبد الحميد الرّافعيّ.

في مراثي العلماء والأباء والكرماء:-[21]

ومن هؤلاء رثاء العلاّمة أحمد فارس الشِّدياق، وعبد الله فكري وأمين فكري وإبراهيم اليازجيّ وسامي البارودي ومحمد بك فريد رئيس الحزب الوطنيّ سنة 1919 ورثاء المناضل ملحم أرسلان بعد عودته من منفى في الأناضول ورثاء عبد القادر عباس حلمي خديوي مصر وأحمد مختار بيهم من أعيان بيروت وعبد العزيز جاويش ورثاء كامل بك الأسعد ورثاء أخيه الأمير نسيب ورثاء أحمد تيمور وعبد القادر الشّيبيّ من أعيان مكّة ورثاء أحمد شوقي ومراث أخرى.

في المدائح السّلطانيّة وشؤن السياسة العثمانية:-[22]

وذلك بسبب تأييده الوحدة الإسلاميّة، وتعظيمه لشأن الخلافة الإسلاميّة وانكشاف أطماع دول أوروبا بالشّرق العربيّ وثرواته، والتحكّم في مصائر شعوبه، فقد مدح السّلطان عبد الحميد بالعديد من القصائد ويوم استرجع ادرنه بالحرب البلقانيّة ولما أعلن الدّستور قرأها في بيروت، وفي مناصرة الجبل الأخضر لما هجمت إيطاليا على طرابلس الغرب، وشارك مع أحمد شوقي وخليل مطران في مناصرة

طرابلس بمهرجان شعريّ في مصر بإلقاء قصيدة، وشارك مع جميل صدقي الزّهاوي وفارس الخوري في مهرجان الآستانة يوم تمثيل رواية صلاح الدّين الأيّوبيّ ، وهي قصيدة عصماء ومنها:

وكيدٌ على الأتراكِ قِبْلَ مُصَوَّبٌ ولكنْ لِصَيْدِ الأمّتينِ حَبَائِلُهْ

تَذَكَّرْ قديمَ الأَمْرِ تَعْلَمْ حديثَهُ فكُلُّ أخيرٍ قد تَمَنّهُ أوائلُهْ

إذا غالَتِ الجُلَّى أخاكَ فإنّهُ لقد غالَكَ الأمرُ الذي هو غائِلُهْ

فَلَيْسَتْ بغير الإتّحادِ وسيلةٌ لِمَنْ عافَ أَنْ تُغَشَى عليهِ منازِلُهْ

ولكن قصيدة القصائد فهي واسطة عقد قصائد أمير البيان القصيدة الرّائيّة المطوّلة التي نظمها إثر زيارته إلى حطّين سنة 1902وقصيدة ذكرى الأندلس وأخرى في إحكام علاقات الأتّحاد بين العرب والتّرك، قالها في دمشق مع حشد من أدباء العرب والأتراك.

الباكورة:

وأمّا القسم الختاميّ في ديوان الأمير فهو القسم الذي بدأ به (الباكورة) .[23] وهذا القسم صورة مصغّرة عن ديوانه، ففيه الغزل والتّشبيب والمدح والتّهاني والرّثاء ، ويُغطي مساحة زمنيّة من عمره من الرّابعة عشرة إلى السّابعة عشرة، تشهد له بأنّه بحر شعريّ ولغويّ محيط، وقد صدق أحمد حلمي باشا رئيس حكومة عموم فلسطين عندما رثاه في مهرجان يافا وختم بقوله:

عجبت لذلك القبر كيف استطاع أن يسع ذلك البحر ! ارحموه واسمعوا الكلمة الأخيرة التي نطق بها قبل أن يلفظ النَّفَس الأخير : أوصيكم بفلسطين!

منهج الشعر في ديوان البارودي:

يقول البارودي في مقدمة ديوانه: "الشعر لمعة خيالية, يتألق وميضها في سماوة الفكر، فتنبعث أشعتها إلى صحيفة القلب, فيفيض بلألأئها نورا يتصل خيطه بأسلة اللسان، فينفث بألوان من الحكمة ينبلج بها الحالك، ويهتدي بدليلها السالك، وخير الكلام ما ائتلفت ألفاظه وائتلفت معانيه، وكان قريب المأخذ، بعيد المرمى، سليما من وصمة التكلف، بريئا من عشوة التعسف، غينا عن مراجعة الفكرة، فهذه صفة الشعر الجيد، فمن آتاه الله منه حظا، وكان كريم الشمائل، طاهر النفس، فقد ملك أعنة القلوب، ونال مودة النفوس، ولو لم يكن من حسنات الشعر الحكيم إلا تهذيب النفوس، وتدريب

الأفهام, وتنبيه الخواطر إلى مكارم الأخلاق, لكان قد بلغ الغاية التي ليس وراءها لذي رغبة مسرح، وارتبأ الصهوة التي ليس دونها لذي همة مطمح".[24]

نجد في شعره أغراض شتي منها:-

المديح والوصف:

ومما يتصل بهذا الموضوع مدحه لرسول الله -صلى الله عليه وسلم، وقد مدحه بقصيدة طويلة يتوسل فيها بجاهه ويطلب شفاعته، ويرجو الرحمة والمغفرة من الله بسببه, ويقول:

هو النبي الذي لولا هدايته ... لكان أعلم من في الأرض كالهمج

أنا الذي بت من وجدي بروضته ... أحن شوقا كطير البانة الهزج

هاجت بذكراه نفسي فاكتست ولها ... وأي صب بذكر الشروق لم يهج

يا رب بالمصفى هب لي وإن عظمت ... جرائمي -رحمة تغني عن الحجج[25]

كما نظم قصيدة مطولة في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، تقع في أربعمائة وسبعة وأربعين بيتا، وقد جارى فيها قصيدة البوصيري البردة قافية ووزنا، وسماها كشف الغمّة في مدح سيّد الأمة، منها[26]

يا رَائِدَ البَرقِ يَمِّم دارَةَ العَلَمِ ... وَاحدُ الغَمامَ إِلى حَيٍّ بِذِي سَلَمِ

وَإِن مَرَرتَ عَلى الرَّوحاءِ فَامرِ لَها ... أَخلافَ سارِيَةٍ هَتّانَةِ الدِّيَمِ

مِنَ الغِزارِ اللَّواتي في حَوالِبِها ... رِيُّ النَّواهِلِ مِن زَرعٍ وَمِن نَعَمِ

إِذا اِستَهَلَّت بِأَرضٍ نَمنَمَت يَدُها ... بُرداً مِنَ النَّورِ يَكسُو عارِيَ الأَكَمِ

ويصف مناظر الريف ويصورها تصويرا بديعا، فيصف القطن, والسفن في النيل, والساقية, والمزروعات, والطيور وهي تحوم على صفحة النهر, وحركات الطيور، والنحلة وهي تنتقل من زهرة لزهرة، كل هذا في حساسية غريبة، وشغف بالطبيعة وحب لها, كأنه يعيش معها[27].

فمن قوله يصف القطن:

والقطن بين ملوز ومنور ... كالغادة ازدانت بأنواع الحلى

فكأن عاقده كرات زمرد ... وكأن زاهره كواكب في الروا

الهجاء والرثاء:

وقد وجد في شعر البارودي نوعا الهجاء: الشخصي والاجتماعي، وأكثر من النوع الاجتماعي على غير عادة شعراء العربية، فهو يشكو الناس ونفاقهم وظلمهم وغدرهم، ويصور قومه ويعدد عيوبهم، ويحرضهم على إصلاح تلك العيوب, وقد مرت بنا نماذج من النوعين؛ فقصيدته التي يدعو فيها لنفسه ويعدد محاسنه وينعى على مواطنيه صفاتهم وخمولهم[28] والتي يقول فيها:

بئس العشير وبئست مصر من بلد أضحت مناخا لأهل الزور والخطل[29]

أرض تأثل فيها الظلم وانقذفت صواعق الغدر بين السهل والجبل

من نوع الهجاء الاجتماعي، والمقطوعة التي ذم فيها النهم والجشع من الهجاء الشخصي, وإن لم يظهر فيها أمرا شخصيا, أو عداوة خاصة على هجائه, وإنما ذمه بعيب عام, وهو الجشع والنهم.

ومن النوع الاجتماعي: قوله يذم زمانه وينعى على معاصريه تلونهم وعدم وفائهم في صداقتهم، ولا سيما وقد خذوله وآذوه:

أنا في زمان غادر ومعاشر يتلونون تلون الحرباء[30]

أعداء غيب ليس يسلم صاحب منهم وأخوة محضر ورخاء

ومن أحسن مراثيه قوله في ولده علي[31]:

كيف طوتك المون ويا ولدي؟ وكيف أودعتك الثرى بيدي؟

واكبدي، يا علي بعدك لو كانت تبل الغليل واكبدي!!

فقدك سل العظام مني ورد الصبر عني وفت في عضدي

كم ليلة فيك لا صباح لها سهرتها باكيا بلا مدد

دمع وسهد، وأي ناظرة تبقى على المدمعين والسهد؟!

لهفي على لمحة النجابة لو دامت إلى أن تفوز بالسدد

ما كانت أدري إذ كنت أخشى عليك العين أن الحمام بالرصد

فاجأني الدهر فيك من حيث لا أعلم ختلا والدهر كالأسد

لولا اتقاء الحياة لاعتضت بالحلم هياما يحيق بالجلد[32]

العتاب والفخر:

وقد افتخر البارودي كما عرفت بنسبه وحسبه، وافتخر كذلك بشجاعته وفروسيته, وقد أكثر من القول في هذا المعنى, وله فيه مبالغات سخيفة؛ فمن ذلك قوله يفتخر ببأسه ونجدته, وأنه ملك أزمة الفصاحة والبيان، وأن الزمان لو تقدم به لبذ الشعراء الفحول, ولسطر اسمه على جبين التاريخ بالفخر إلى آخر هذه المعاني المعروفة من مثل قوله:

ولي شيمة تأبى الدنايا وعزمة ترد لهام الجيش وهو يمور[33]

إذا سرت فالأرض التي نحن فوقها مراد لمهردي المعاقل دور

فلا عجب إن لم يصرني منزل فليس لعقبان الهواء وكور

وأصبحت محسود الجلال كأنني على كل نفس في الزمان أمير

إذا صلت كف الدهر من غلوائه وإن قلت غصت بالقلوب صدور

ملكت مقاليد الكلام وحكمة لها كوكب فخم الضياء منير

فلو كنت في عصر الكلام الذي انقضى لباء بفضلي "جرول" و"جرير"

الحكمة:وقد أكثر البارودي من قول الحكم، ومعظمها حكم مبتكرة, وقع عليها السابقون, وصاغها البارودي صياغة جديدة بأسلوبه الجزل الفخم, وقد وردت له كثير من الأبيات السائرة التي صارت كأنها أمثال

كقوله: ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب[34]

وقوله: وقليلا ما يصلح المرء للجد إذا كان ساقط الأجداد

وقوله: لعمرك ما في الدهر أطيب لذة من اللهو في ظل الشبيبة واليسر

وقوله: إذا ساء صنع المرء ساءت حياته فما لصرف الدهر يوسعها سبا

الهوامش

[1] : الأمير شكيب أرسلان حياته وآثاره) سامي الدهان، ، دار المعارف بمصر، طبعة ثانية ص 62

[2] : شويفات هي قرية لبنانية من قرى قضاء عاليه في محافظة جبل لبنان .السكان المحليون للمدينة هم من الموحدون الدروز إلى جانب أقليَّة مسيحية معتبرة. عرفت الشويفات بهذا الاسم منذ الفتح العربي للبنان. والشويفات، اسم مشتق من جذر "الشوف". والشوف كلمة أرامية معرّبة معناها المكان المرتفع والمطل. تصغيرها "الشويف" وجمعها "الشويفات" اي مجموع الروابي الصغيرة. ويُقال أيضاً "الشيفة" أو "الشوافة" وهم طليعة القوم الذين يتشوّفون اي يشرفون من مكان مرتفع على حركة قوافل التجار والزوار والوافدين لضرورة السلامة العامة.

[3] : يعدّ ‘‘الإمام محمد عبده’’ واحدًا من أبرز المجددين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث، وأحد دعاة الإصلاح وأعلام النهضة العربية الإسلامية الحديثة؛ فقد ساهم بعلمه ووعيه واجتهاده في تحرير العقل العربي من الجمود الذي أصابه لعدة قرون، كما شارك في إيقاظ وعي الأمة نحو التحرر، وبعث الوطنية، وإحياء الاجتهاد الفقهي لمواكبة التطورات السريعة في العلم، ومسايرة حركة المجتمع وتطوره في مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية.

[4] : الامير شكيب ارسلان لسامى الدهان، ص 70

[5] : محمد جمال الدين بن السيد صفتر الحسيني الأفغاني الأسد آبادي حد أعلام التجديد في عصر النهضة العربية والإسلامية الحديثة. ولدفى عام 1838م وقدتوفى فى عام1897م-

[6] : ويعتبر محمد رشيد رضا مفكرًا إسلاميًا من رواد الإصلاح الإسلامي الذين ظهروا مطلع القرن الرابع عشر الهجري. وبالإضافة إلى ذلك، كان صحفيا وكاتبا وأديبا لغويا. هو أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده .أسس مجلة المنار على نمط مجلة "العروة الوثقى" التي أسسها الإمام محمد عبده، ويعتبر حسن البنا أكثر من تأثر برشيد رضا.

[7] : شكيب أرسلان لشرباصى، ص 65

[8] : وهو ديوان أخيه نسيب، قدم له في 150 صفحة من أصل 176 صفحة.

[9] : الادب العربى المعاصر، شوقى ضيف، ص 83

[10] : ولقبه البارودي نسبة إلى «إيتاي البارود» بمديرية البحيرة، التي كان أحد أجداده ملتزماً لها .

[11] : محافظة البحيرة– بمصر

[12] : الأدب العربى المعاصر، شوقى ضيف، ص83

[13] : فى الادب الحديث، عمر الدسوقى، ص 168

[14] : المرجع السابق، ص 88

[15] : ديوان الامير شكيب ارسلان، تصيحيح السيد رشيد رضا، منشئى المنار، مطبعة المنار بمصر سنة 1935م، ص 7، القسم الاول من الديوان ، المراسلات السامية-

[16] : المصدر السابق، ص 8

[17] : المصدر السابق، ص 9

[18] : أي تتراغى أمواجه في صيالها كالفحول إذا رغى واحد من هنا وواحد من هناك، وحُذفت إحدى التائين للتخفيف.

[19] : ديوان الامير شكيب ارسلان ص4

[20] : المصدر السابق ، ص 18

[21] : المصدر السابق ص 48

[22] : المصدر السابق ، ص90

[23] : المصدر السابق ، ص 131

[24] : ديوان البارودي، ص32

[25] : ديوان البارودي، قافية الجيم وقا ل يمدح النبيﷺ من البسيط، ص 69

[26] : مختارات البارودى، محمودسامى البارودى، ص 33، تحقيق وشرح محمد مصطفى .

[27] : فى الادب الحديث، ص 199

[28] :المرجع السابق،ص 220

[29] : ديوان البارودى ، ص 210، وقال في ذم الحكام وحض الناس على طلب العدل. وذلك في عهد «إسماعيل باشا» خديو مصر: (من البسيط)

[30] : المصدر السابق،ص 38

[31] : فى الادب الحديث-،ص 226

[32] : ديوان البارودى، ص 95

[33] : المصدر السابق، ص 119

[34] : فى الادب الحديث، ص 233